





www.ittihad.com.tr

Kitap : Hutbe-i Şamiye ve Zeyli (Arabî Ash)

Neşreden : **İTTİHAD YAYINCILIK**

Çatalçeşme Sk. No: 27/19

CAĞALOĞLU/İSTANBUL-TÜRKİYE

Tel: +90 212 520 51 47

E.mail: ittihad@ittihad.com.tr

Baskı : **Enes Basım Yayın ve Mat. Ltd. Şti.**

Tel: +90 212 501 47 63

2016 – İSTANBUL

© Copyright

Her Hakkı Mahfuzdur

هـ ١٤٣٨ ، ١٤٣٢ ، م ٢٠١٦

طبع و نشر: دار ﴿ أنوار ﴾ للطباعة

–إستانبول– تركية

الخطبة الشّامية
و ذيلها
تشخيص العلة

بديع الزمان
سعيد الكردي (النورسي)

مع ذيلها " تشخيص العلة "

الطبعة الاولى مع الرسالة المسماة

ب " السنوحات " ١٣٢٩ هـ قسطنطينية

١٩١١ م

هذه محاوره تكلمت بها مع أبناء العرب
 في صورة الخطبة في الجامع الأمويّ في
 سنة ١٣٢٩ هـ و ذيلها ملاحظة في مسألتين
 مهمّتين.

بديع الزّمان سعيد النورسي

الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في سنة ١٩١٠ سافر الى دمشق الشام بنية الحج. لكنّه في ذلك السّفر مرّ على كثير من الولايات وألقى في كلّ منها على العلماء والشّعوب المحاضرات في حقّ الحرّيّة الشرعيّة وفي ضرورة إنشاء الجامعة الكبيرة في الولايات الشّرقيّة. لذلك ضاع منه موسم الحجّ ولم يحجّ. لكنّه مكث في دمشق..

و في تلك الايام اصرّ عليه علماء الشّام بان يلقى خطبة "في الجامع الأمويّ" يوم الجمعة...

ففي ٢٨ نيسان ١٩١١ في يوم الجمعة طلع على منبر الجامع الأمويّ. وألقى هذه الخطبة "الخطبة الشاميّة" على اكثر من عشرة الاف من المسلمين و فيهم اكثر من مائة من العلماء الكبار.

— الناشر —

التَّحِيَّاتِ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ :

﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾

وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ الَّذِي قَالَ :

﴿ جِئْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ﴾

وبعده:

يا أيها الإخوان العرب! ما قمت هذا
المقام لإرشادكم، لأنّه فوق حدّي. بل مثلي
معكم كمثلي صبيّ ذهب إلى المدرسة، ثم
رجع في المساء إلى أبيه فعرض درسه على
أبيه. نعم نحن الأكراد صبيان بالنسبة إليكم
وأنتم أساتيدنا.

ثم إنني تعلمت من زماننا هذا، أن الذي أوقفنا في القرون الوسطى مع طيران الأجناب في الترقى إلى الإستقبال ستة امراض.

وهي: حياة اليأس، وموت الصدق، ومحبة العداوة، والجهل بالرابطة النورانية، والإستبداد المتنوع السارى، وقصر الهمة على الشخصية!

فأقول لكم ست كلمات هي الأساس:

الكلمة الأولى: ﴿ الأمل ﴾

أبشركم -على حسابي- معاشر المسلمين بأن سعادة الإسلام وبالخصوص سعادة العرب الذين بتبهم ترقى الإسلام، فجرها الصادق قد تنفس.. وقد إقرب طلوع السعادة

على رغم أنف اليأس. وأنا أقول بحيث
 أسمع الدنيا بأنّ الإستقبال للإسلاميّة ليس
 الأ... رضينا القسمة لنا الإستقبال، فليكن
 للاغيار الماضي المشوّش. هذه دعوى لى
 عليها براهين.. أذكر من تلك البراهين هنا
 برهاناً ذا مقدّمات ونصفاً: هو أن الإسلاميّة
 تستعدّ حقيقة لأن تترقى معنى ومادّة.

أما الجهة الأولى: فاعلموا أنّ التاريخ
 وهو أصدق شاهد على الحقيقة يرينا - كما
 صرّح به أحد الرّجال الجابونيين - ان بنسبة
 قوّة الحقيقة الإسلاميّة يتمدّن أهل الإسلام.
 وبضعفها يتوحّشون، ويصيرون فى حيص

(*) يعنى : حقيقى وقوعاتى قيد إيدن تاريخدر.

- مؤلّف -

ييص. وسائر الأديان بالعكس من ذلك. بضعفها التمدن، بقوتها التوحش.. إلى الآن هكذا مرّ الزمان.

وأيضاً أن التاريخ من عصر السعادة إلى الآن لا يظهر لنا أنّ مسلماً قد دخل في دين آخر عتيقاً أو جديداً بالمحاكمة العقلية، وبالذليل العقلي، وبترجيحه على الإسلامية بالبرهان! وأما التقليد فلا عبرة به. وأما الخروج من الدين، تلك مسألة أخرى. مع أنّ أتباع كل الأديان حتى الشديد التعصب في دينهم ومسلكتهم كالروس والانكليز يدخلون في الإسلامية يوماً فيوماً، فوجاً فوجاً بالبرهان القاطع. فإن أظهرنا مكارم الأخلاق الإسلامية فأفواجاً أفواجاً!

وأيضاً أنّ النوع البشريّ، لاسيّما إذا تنبّه
 بإيقاظات الفنون المدنيّة لآلتعيّشون ولا
 يكونون بلا دين هملاً. لأنّ (نقطة الاستناد)
 عند مهاجمات العاديّات الخارجيّة ومصائب
 العالم، وأنّ (نقطة الإستمداد) لآمال البشر
 الغير المحدودة الممتدّة الى جانب الابد
 إنّما هي معرفة الصّانع و الدّين الحقّ في
 صدف القلب!

الحاصل: أنّ البشر تنبّه وعرف جوهر
 الإنسانيّة. وإنّ الإنسان مبعوث إلى الأبد.
 وأنّ هذه الدّنيا الفانية الضيّقة لاتسع آمال
 الإنسان الغير المتناهية. حتّى إنّ هذه الدّنيا
 لاتشبع أحد خدّام الإنسانيّة وشاعرها، أعني
 " الخيال. " حتى لو قيل: " أيّها الخيال لك

الدنيا بمليون من العمر، ثمّ العدم لا إلى
 عود. " فبدلاً مِنْ أن يستبشر، يتأسف. ويصيح
 " بأيواه!. " من فقدان السعادة الأبدية. ولهذه
 النكتة تولّد من غور قلب كلّ أحدٍ ميل
 تحرّي دين الحقّ والوجود شاهد.

وأيضاً إنّ فواتح كثير من الآيات وخواتمها
 تحيل البشر على العقل، والمراجعة الى
 الشورى مع الفكر. فانظروا كيف تقول:

" فاعلموا! فاعلم! افلا يعلمون! افلا
 يعقلون! افلا ينظرون! افلا يتذكّرون! افلا
 يتدبّرون! فاعتبروا! " إلى آخره. فاعتبروا
 انتم أيضاً يا أولى الألباب!

الحاصل: نحن معاشر المسلمين نتبع البرهان لسنا كمن تركوا التقلد بالبرهان لتقليد الرهبان. وأيضاً إن الحجاب الذى بحيلولته كسفت شمس الإسلاميّة، قد إنكشف. وأنّ الموانع لتجليها قد انقشعت.

نعم إنّ المانع لاستيلاء حقيقة الإسلاميّة على قطعة زمان الماضى بتمامها هو: جهل الاجانب، ووحشتهم، وتعصّبهم. وقد تلاشت بهمة المعرفة والفنّ والمدنيّة. وكذا تقليد القسّيسين، ورياستهم. وقد زالت بفكر الحرّيّة وميل تحرّي الحقيقة.

وكذا استبدادنا الذى هو ثمرة استبداد الاجانب علينا وسوء أخلاقنا بسبب مخالفة الشريعة، وبسبب تقليد أوروبا ومحبتهم

المشؤومة. وقد زالت قوّة الاستبداد وتزلزل
سوء الأخلاق بهمة الحميّة المليّة و بانتباه
طبقة العوام وحركتهم، وتزلزل سوء الاخلاق
بانقلاب محبّتهم المشؤومة المولدة للتقليد
خصومة منفرة من التشبه...

وكذا توهم معارضة بعض مسائل الفنون
لبعض ظواهر الإسلاميّة. وقد زالت وتزال
بهمة بعض محقّقى الإسلام. وأنا أيضاً
كُتبت لدفع هذا التّوهم كتاباً.

أجل! الآن جهّز المعرفة والمدنيّة ميلان
تحرّى الحقيقة والانصاف و محبة الانسانية.
فارسلتها الى ذلك الموانع فهزمتها، وستفرّقها
شذراً مزرأاً.

والفضل ما شهدت به الاعداء، هذه " مستر قارلائيل " من اشهر فلاسفة امريكا قد نادى باعلا صوته بما مآله هذا: " أنّ الإسلاميّة طلعت كالنار الجوّالة فابتلعت سائر الاديان التي كأغصان الشجر اليابس، فحقّ الإسلاميّة البلع. لأنّ سائر الأديان بالنسبة اليها غير ما صدّقها كلا شيء. وأجدر كلام أنّ يستمع أولاً كلام محمّد عليه السلام، لأنّ كلامه هو الكلام. واذا اشتبهت في حقيقة الإسلاميّة لابدّ أنّ تشبهه في البديهيّات. " انتهى بالتلخيص متفرقاً.

فأنا أقول ولا أبالي استناداً بإنبات اوروبا وامريكا امثال بيسمارق وهذا المحقق، وأحكم أنّ اوروبا حاملة بالإسلاميّة فستلد يوماً ما!..

يا أيها الإخوان! افلا تنتج هذه المقدمات!
 أن الحاكم في شواهدق الإستقبال إنما هو
 الإسلاميّة ليس إلاّ...

وأما الجهة الثانية: أعنى التّرقى المادى.
 فاعلموا أنه قد اجتمع وامتزج في قلب
 العالم الإسلامى خمس قوى لا تقاوم.

القوة الأولى: أستاذ كلّ الكمالات (*)
 والتي صيرت ثلاثمائة وثلاثين مليون نفس

٠ حتىّ إنى أفهم من اشارات أستاذيّة القرآن في
 قصص معجزات الأنبياء للعبرة إراءة، ووضع القرآن
 إصبعه على نظائر نتائج مساعى البشر فى التّرقى فى
 الإستقبال الذّى هو مرآة الماضى، كأنّ القرآن يمسح
 بيده ظهر البشر ويقول له: " إسع فى الوسائل التى
 توصلك إلى أشباه بعض تلك الخوارق. "

كنفس واحدة، المجهّزة بالمديّة الحقّة
والفنون الصّادقة، إلّا هي "الحقيقة الإسلاميّة"

والقوّة الثّانية: أستاذ المديّة والصّناعة،
المجهّزة بتكمّل المبادئ والوسائل، إلّا و
هي الإحتياج الشّديد و الفقر الّذى كسر
فقار ظهرنا

والقوّة الثّالثة: معلّمة المعالي، ممزّقة

ك ﴿ غدوّها شهر ورواحها شهر ﴾ و ﴿ تبرئ
الأكمه والأبرص بإذنى ﴾ و ﴿ فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا ﴾ و ﴿ يانار كوني برداً وسلاماً ﴾ و
﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ اي بمثال يعقوب عليه
السّلام وامثالها. مثل ﴿ وألنا له الحديد ﴾ وقد
قيل: إنّ السّاعة والسّفينة أوّل من أهداهما للبشر
يد المعجزة.

الاستبدادات، مهيجّة الحسيّات العلويّة،
 المجهّزة بالغبطة والحسد والتّبّه التّام. مع
 كوننا في السّفالة التّامة. وبشوق المسابقة،
 وميل التّجدّد، وميلان التّمدّن، إلّا وهي
 الحرّيّة الشرعيّة الممتزجة بميل المعالي.

والقوّة الرّابعة: " الشّهامة الايمانيّة "،
 المجهّزة بالشّفقة. أعني أنّ لا يتدلّل ولا
 يُدلّل. وهما أساسا الحرّيّة.

القوّة الخامسة: " عزّة الإسلاميّة " الأمرة
 بإعلاء كلمة الله المتوقّف ذلك الإعلاء
 في هذا الزّمان على التّرقّي مادّة والمدنيّة
 حقيقيّة، كما على تمزيق التّعصّب وكسر
 العناد بالسّلاح في الماضي.

إلا أنّ مرادى من المدنيّة محاسنها
لاذنوبها التي تظنّونها محاسن. نعم لَمَّا
لم تتأسّس مدنيّة الأجنب على الفضيلة
والهدى، بل على التهوّس والهوى، تغلّبت
ذنوب المدنيّة على حسناتها، فصارت
مدنيّتهم كشجرة مسوّسة بالفرق الإختلالية.
وهذه الحال مدار لغلبة مدنيّة آسيا.

فيا للعجب! إذا كان الطّريق لنا إلى
الإستقبال هكذا كسكّة الحديد، كيف تقعون
في اليأس؟ كيف تظنّون أنّ العالم لكلّ
العالم عالم التّرقّي بسرّ ميل الإستكمال،
ولنا خصوصاً دنيا التّدنّي؟

فانظروا أنّ الزّمان لا يتحرّك على الإستقامة
حتّى يتباعد المبدأ والمنتهى، بل تدور حركة

وضعية في ضمن الترقى متصاعداً. فبعد كل
شتاء ربيع، وبعد كل ليل صباح.

وأما نصف البرهان هو هذا: قد ثبت
بالإستقراء التام بجواسيس الفنون أن الخير
والحسن والكمال هو المقصود بالذات
والغالب المطلق في نظام الكائنات. بدليل
أن كل فن من فنون الكائنات كشاف بكليّة
قواعده عن إتساق وإنتظام لا يعقل أكمل منه.
و الإستقراء أنتج أن الشرّ والقبح والباطل
جزئي، وتبعي، ومغمور في الخلقة. وإنّ
أكرم الخلق (البشر) بدليل كشفه الترتب
العلل المتسلسلة في الخلقة بصنعتة. و أن
الأشرف " أهل الحق "، اي الإسلاميّة بشهادة
حقائقها. وأن افضل الكلّ محمّد عليه
السّلام بشهادة أخلاقه ومعجزاته..

فإذا كان هذا هكذا ، أ يقتدر نوع البشر بشقاوته على جرح شهادات الفنون، وعلى نقض الإستقراء التّام، وعلى التّمرد في مقابلة المشيئة والحكمة الأزلية؟!..

والذى أحكم العالم بالنّظام الأكمل لايهضم البشر بسلامة الامير مخالفته لنظام الكائنات، في غلبة الشرّ في ذلك النّوع في ألوف من السنين، إلّا أنّ يعدّ البشر طفيلياً في هذه العالم مع كونه " الخليفة " .

فأنتج من هذا النّصف، أنّ الخير والدين الحقّ في الإستقبال يكون الغالب المطلق الذي فيه الخير والفضيلة. حتّى يتساوى البشر مع إخوانه سائر الكائنات، ويحقّ أن يقال: إنّ نوع البشر تقرّر فيه سرّ الحكمة .

الكلمة الثانية : ممّا أولدتها تجاربي هذه
 : أنّ " اليأس " أشدّ مرض ألمّ بالإسلام، وهو
 الذي قتلنا، وأمات أخلاقنا العالية، وكسر
 قوّتنا المعنويّة. حتّى إنّ المرء بتكاسل غيره
 يقع في اليأس والفتور، ويظنّ قصور غيره
 عذراً لقصوره. ألا فلنأخذ قصاصنا من اليأس
 الذي قتلنا ولنضربه بسيف ﴿ فلا تقنطوا ﴾
 ولنكسر ظهره بـ " ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه. "

نعم : أنّ اليأس (سرطان الأمم). أجلّ!
 إنّ اليأس مانع كلّ الكمالات ومخالف "
 أنا عند ظنّ عبدي بي " ، وشأن العجزة.
 وليس من شأن شهامة الإسلاميّة، لاسيّما
 العرب ذوى المفاخر، اليأس الذي ينشأ من
 العجز.. نعم، توهمنا إيّانا سفلاء، فتسفلنا.

الكلمة الثالثة: التي تمخضها لي التحقيق
أنّ "الصّدق" هو أسّ اساس الإسلاميّة،
ورابطة أخلاقها العالية، ومزاج الحسيّات
العلويّة. ألا فاحيوا وداووا مابه قوام حياتنا.

أجل: إنّ الصّدق هو العقدة الحياتيّة
للإسلاميّة. وما الرّياء إلّا نوع من الكذب
الفعليّ. وما النّفاق إلّا صنف من الكذب.
وما الكذب إلّا إفتراء على قدرة الصّانع.
والكفر كذب، والإيمان صدق. فالمسافة بين
الكذب والصّدق فراسخ، كما بين الشّرق
والغرب، والنّار والنّور.

فبالإستطراد أقول لكم نكته من علم
الحديث وهي: أنّ رواية الصّحابة رضي
الله عنهم لاتحتاج إلى التّزكية، فكّلهم

عدول عدالتهم محقّقة، لا كالقرون الاخرى فإنّهم يحتاجون إلى التّركية. السّر في هذه الحكمة: أنّ الصّدق لما أظهر في عصر السّعادة كل حسنه، وبُعد درجته عن الكذب، وواقع انقلاباً عجيباً في العالم؛ فترقى محمّد عليه الصّلاة والسّلام بالصّدق إلى أعلى عليّين الكمال، راج في سوق العالم " الصّدق "، كما الحرّية الشرعيّة الآن. ولما أظهر الكذب نهاية قبحه، وغاية بعده عن درجة الصّدق، حتّى تسفل امثال مسيلمة الكذاب به الى اسفل سافلين الخسة، كسد الكذب، كما الجاسوسيّة الان. وما صادف من يشتره، فانفرج المسافة، واتّسع الميدان بين الكذب والصّدق. فراج جوهر الصّدق، وكسد الكذب متاع الغرور!..

فاذا وقع هذا هكذا، تسابق العرب الذين
 في فطرتهم ميل المعالي، وفي طبيعتهم
 الشوق إلى أخذ الرّائج من كلّ شيء، وفي
 جبلّيتهم ميلان المفاخر، متسارعين إلى أن
 اشتروا الصّدق وتزيّنوا بالحقّ، فرفعوا أعلام
 الشّهادة على عدالة الصّحابة!..

ثمّ لما إمتدّ الزّمان وتضايق المسافة
 بين الضّدين بمقدار إصبع، حتّى إنّ الرّجل
 لا يبالي أ يصدّق أم يميّن، إحتلّ الأحوال إلى
 ما ترون بعين التّأسّف. حتّى لو أمعنتم النّظر
 ترون رجال السّياسيّة كيف إضطروا لدفع
 ضرر الكذب لتأسيس وظائف قد تنجرّ إلى
 التّسلسل.

فيا أيها الإخوان! الصّدق هو النّجاة.
والصّدق هو العروة الوثقى. وإمّا الكذب
للمصلحة، فالزّمان نسخ. لأنّ المصلحة كما
المشقة في السّفرة ليست بمحدودة حتّى تناط
بها الحكم. إمّا الصّدق، وإمّا السّكوت!

الكلمة الرّابعة : ممّا إنتجتها التّحقيقات
هي " المحبّة ". أعني إنّ اجدر شئ بالمحبّة
المحبّة. و أليق صفة بالخصومة الخصومة.
فإن شئتم أن تخاصموا شيئاً فعليكم
بالخصومة، فإنها هي العدوّة الغدّارة.

نعم إنّ وقت الخصومة قد انقضى، ليس
فيها فائدة أصلاً، فلا تغتروا بما سوّلت لكم
أنفسكم بأنّ خصومتنا لسيّئات خصمنا.. لا
بل لغروركم، ونفسانيّتكم. فأنتم من حيث

لا تشعرون بطبع الخصومة تنزلون وتخففون بل تحقرون أسباب المحبة التي كالجبال بالنسبة إلى أسباب العداوة. والمحبة والعداوة كالضياء والظلمة لا تجتمعان حقيقةً. إمّا أن تغلب المحبة فتقلب العداوة شفقة وترحمًا وتوجعًا. وأمّا العداوة تغلب فتقلب المحبة ممارسةً ومماشاةً.

فأسباب المحبة الإيمان، والإسلامية، والجنسية، والانسانية. وهي أرجح من الجبال. وسبب العداوة بعض السيئات الخصوصية كالحجيرات، فمن غلب في طبعه العداوة بالمسلم فهو كمن يستخف بجبل "أحد" وقال: هو أصغر من الحصاة.

النّتيجة: أنّ المحبّة هي مزاج الإسلاميّة.
أرى مثل أهل العداوة كمثّل صبيّ مختلّ
المزاج أن يبكي فيتحرّى ما يتباكا به.

أفلا تحسون الظنّ كلّ ما أمكن لكم
سوء الظنّ!..

الكلمة الخامسة: ممّا علّمتنا الشّورى " أنّ
الذنب الفرد في هذا الزّمان ليس ذنباً واحداً،
بل تنوف على ألف. وإنّ الحسنة المنفردة
لا تبقى حسنة فزّة، بل تترقى على الوف ".
وسرّه: أنّ الشّورى عرّفتنا حاكميّة المليّة،
ومليّتنا مجدولة محكمة ممتزجة من روابط
الإسلاميّة. و العثمانيّة و العنصريّة. والمليّة
مع كونها صدف الإسلاميّة، رابطة تصير
عموم الإسلام كعشيرة واحدة يرتبط بعضها

ببعض، ويشد بعضها بعضاً، كأنهم مربوطة بسلسلة نورانية. فكما أن فرداً من عشيرة إذا جنى جنابة، يصير أفراد العشيرة بتمامها في نظر عشيرة أخرى متهمين، كأن كلاً جنى. وإذا فعل حسنةً إفتخر كل من العشيرة به كأنه هو فعله، كذلك إن السيئة في هذا الزمان لا تنحصر على صاحبها بل تتجاوز إلى حقوق ملايين من النفوس.

يا هؤلاء لا تعتذروا:

" بأننا لانضر، ولانقتدر على النفع."
 كلاً إن كسلانكم وإعتزالكم ضرر أي ضرر علينا! وكذا إن الحسنة لا تتوقف على فاعلها، بل تسرى إلى ملايين من النفوس فتقوى رابطة حياتهم!

أيها الإخوان! لاتظنوني إنني قمت
لنصيحتكم، بل أدعى منكم حقنا. لأن
منافعنا مربوطة بكم، فبتكاسلكم نتضرر!..

يا معاشر العرب! إن أول من يخاطب
بهذا الكلام أنتم، بأنكم أساتيدنا. وكنتم
أئمتنا وحماة الإسلاميّة. فذنبكم أعظم و
أعظم. وحسناتكم هي العليا. ألا لا تتخیلوا
إنني أستنهض الهمم للإشتغال بالسياسيّة،
لأنكم لاتقرؤون من بعيد الخطوط الدّقيقة
في حواشي السّياسيّة. لأنني أتصوّر هيئة
الإجتماعيّة فابريقة ذات دواليب متأخّية،
فإن تبطأ چرخ أو تجاوز إلى جاره، إختل
ميكانيكيّة الماكينة. هذا، إنني بكمال التأسّف
والتلهّف اقول:

إنّ الأجنب كما أخذوا أموالنا الغالية،
 وأعطوا بدلها ثمناً بخساً.. كذلك سرقوا
 أخلاقنا العالية التي تنبت من معدن الدّين
 الحقّ، وأعطوا في مقابلتها أخلاقهم السيّئة.

مثلاً إنّ الرّجل منهم يقول: " إن أمت،
 فليحيي ملّتي، فإنّ لي فيها حياة باقية " هذه
 في الأصل كلمتنا التي تولدت من الدّين
 الحقّ، وهي الأساس المتين لترقيّاتهم
 سرقوها منا.

ورجل منّا يقول: إن أمت عطشاً فلا نزل
 القطر، إن لم أر فلتكن الدنيا كما شاءت.
 هذه هي الكلمة الحمقاء التي تولدت
 من عدم الدّين وعدم الإقرار بالأخرة قد
 تداخلت إلينا.

وأيضاً بفكر المليّة يصير الفرد فيهم
كالملة، لأنّ قيمة المرء بنسبة همّته. ومن
همّته ملّته، فهو برأسه ملة.

وبقصر النّظر في بعضنا مع جلاله
إستعدادنا قد يكون الألف منّا كواحد. من
كان همّته نفسه، فليس من الإنسان. لأنّه
مدنيّ بالطّبع. ويلاحظ أبناء جنسه.

الكلمة السّادسة: إنّ مفتاح سعادة
الإسلاميّة إنّما هو " الشّورى " وقد ألفت
في حقائقتها كتاباً، من أراد فليراجع إليه.
وكذلك أنّ كشاف طالع أسيا ومفتاح قيود
الإستبدادات المتنوّعة على رجلٍ ثلاثة مائة
مليون من الإسلام، إنّما هي الحرّيّة المتولّدة
من الشّهامة والشفقة الإيمانيّة، والمرتينيّة

بالآداب الشَّرعيَّة. أعني يقتضي الإيمان أن لا يذلل ولا يتذلَّل. من كان عبداً لله لا يكون عبداً للعباد.

﴿ لا يَجْعَلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾

نعم الحرِّيَّة عطية الرَّحمن، إذ أنَّها خاصيَّة الإيمان.

فليحي الصدق. و لا عاش اليأس. فلتدم المحبَّة. ولتقوى الشورى. إنَّ الملام على من اتَّبع الهوى. والسَّلام على من اتَّبع الهدى..



تشخيص العلة^و (*)

(*) ملاحظة: أعلم أنّ النَّاسَ عاتبوا عليّ و يقولون: «كلامك مغلق و مشكل لا يفهم».. فأجبرت طبيعتي على خلاف عاداتها، فصار هذا الذّيل نازل الدّرجة، عارياً من الزّينة.. فبدلاً من صحيفة، صار صحائف.

- بديع الزمان -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال: أَلْحَمِيَّةُ الدِّيْنِيَّةُ وَالْحَمِيَّةُ الْمَلِيَّةُ
أَيُّهُمَا أَسَدٌّ وَ أَوْلَى بِالْإِعْتِمَادِ وَ أَخْلَصُ؟!.

جواب: عندنا معاشر المسلمين؛ أَلدِّينِ وَ
الْمَلِيَّةُ مَتَّحِدَانِ بِالذَّاتِ، مُخْتَلِفَانِ بِالْإِعْتِبَارِ..
بَلِ الدِّينِ حَيَاةُ الْمَلِيَّةِ وَرُوحَهَا.. وَ مِنْ فَرْقٍ
بَيْنَهُمَا، فَعِنْدَهُ الْحَمِيَّةُ الدِّيْنِيَّةُ تَعَمَّمُ الْعَوَامَ
وَ الْخَوَاصَّ؛ وَالْحَمِيَّةُ الْمَلِيَّةُ تَخْصُّ مِنَ
الْمَائَةِ بَوَاحِدٍ..

وَ عِنْدَنَا مَعَاشِرُ الشَّرْقِيِّينَ؛ الْحَسُّ الدِّيْنِيَّ
هُوَ الْحَاكِمُ عَلَى الْقُلُوبِ.. وَ لَقَدْ أَشَارَ " الْقَدْرُ
الْأَزَلِّيُّ " بِبَعْثَةِ جَمْهُورِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الشَّرْقِ؛

إلى أن الحسّ الدّينيّ هو الذي نهّض و نبّه
الشرق، وهو يرقّيه و يوقظه!..

يا أيّها السّائل! أحكى لك حكاية يتكشّف
بها جوابك و هي: إني سافرت بمناسبة سياحة
" السلطان رشاد " إلى " روم إيلي "، و كنت
راكباً في (شمندوفر)؛ فوقع بيني وبين بعض
النّاس مباحثة في الحميّة المليّة، والحميّة
الدّينية، أيّهم أولى بالتمسك؟!.

فقلت لهم: إنّ الحميّة الدّينية هي الجبل
المتين، هي العروة الوثقى لنا، هي السّلسلة
النّورانيّة..

فقال ما الدّليل؟!.

فإذا رأيت على جانب سكة الحديد صبياً

ما بلغ سنّه ستّاً فقلت لصاحبي: إنّ هذا الصّبيّ يعلمني بلسان حاله جواب سؤالك، فإذا هو أستاذنا في هذه المدرسة السيّارة..

قالوا: كيف؟!!

قلت: أنظروا إنّ ذلك الصّبيّ قد قام على طرف الطّريق بيّعد ذراع من ممرّ " دابة الأرض " تلك الدّاهية التي تهدّد بصياحها و تتحكّم بهجومها، كأنّها تقول: " يا ويل من صادفني وبارزني! " مع أنّ ذلك الصّبيّ قد وقف على طريقها بأكمل حرّيّة وأتمّ جسارة، لا يبالي بها.. فكأنّه يستخفّ بهجوم هذا المركب ويستهزئ بتهديده بالنّهيق. ويقول: " لاتخوّفنا برعدك! " فكأنّه يخاطبه: ب " يا أيّها الشّمندوفر! أنت أسير نظام، وخطامك

في يد قائدك.. فليس من حدّك أن تتجاوز
إليّ، أو تستبدّ عليّ، فمُر في سبيلك بإذن
ربّك!..

ثمّ يا أخي تخيّل في موضع ذلك الصّبيّ
" رستم الإيرانيّ " أو " هرکول اليونانيّ "
مع شرط عدم اعتقادهما بجريان الشمندوفر
بانتظام؛ إذا رأيا ذلك يهجم من بعيد، أو
يخرج من نافقائه؛ (*) كيف يفّران - و معهما
الجسارة الخارقة - من ممرّه بألوف من
ذراع.. و كيف تضمحلّ في مقابلة تهديده

(*) و في رأسه " النار ذات الوقود " .. و في بطنه
" أصحاب الأخدود قعود " .. و في فمه من نفسه
رعود.. و في عينيه من (الالكتريق) بروق.. لو كان
(شمندوفر) يربوعاً، كان (تُونَل) نافقاه..

حرّيتّهما، وتتلاشى بهجومه جسارتّهما. إذ
بسبب عدم الاعتقاد لا يظنّانه حماراً مطيعاً،
بل يتوهّمانه أسداً مفترساً...

فاعلم يا أخي أنّ الذي صيّر ذلك الصّبيّ
أشدّ جسارة، وأكمل حرّية من هذين
القهرمانين، وجعله فوقهما بمراتب؛ ما هو
إلّا ما في قلب ذلك الصّبي من نواة الحقيقة،
وهي إطمئنّانه بإتّساق جريانه.. وإنّ لمركبنا
هذا راعياً يجرّه بحساب!.. وإنّ الذي
صيّرهما خائفين، وجعل وجدانهما أسير
الوهم؛ عدم إطمئنّانها بانتظامه وجهلها
بسائقه!..

فإن تبصّرت ما تمثّل في هذا المثال؛ فارفع
رأسك وانظر في الكائنات، كم ترى الله في

الفضاء من كُرَاتِ النُّجُومِ، و أجرام العالم،
 و سلاسل الحوادث، والوقعات المتسلسلة
 أمثال الشمندوفر والبالون والأوتوموبيل
 الإلهيَّة!.. فكأنَّها سفائن برِّيَّة، وفلك
 بحرِّيَّة، ومراكب هوائيَّة تسيروها يد القدرة..
 ولها نظائر في عالم المعنويَّات...

يا هذا يهدّد كلّ هؤلاء السيّارة الطيّارة
 أهل الوهم و الضلالة بتهاجماتهم
 بحدّاثات ومصائب متسلسلة.. فتأمل أنّ
 الّذي ينجي البشر من إستبداد الكائنات،
 ويخلّص ويحرّر وجدانه الذي يبارزها من
 أسارة الوهم والخوف؛ ما هو إلاّ إطمئنان
 البشر بأنّ كلاًّ (يجرى بقدر). وما منها فرد

إلا ويجريه مقدر. لا يخالفون ما يؤمرون،
﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ..!

ومن لم يكن من نواة الحقيقة التي هي
" الدين الحق " في قلبه ما يستند إليه أماله؛
فبالضرورة تضمحل جسارته، ويتفسخ
وجدانه، ويصير أسير الكائنات وحادثاتها
من حيث لا يشعر..

فثبت أن أساس كل الكمالات من الحرّية
والشّهامة وغيرهما هو " الدين الحق " ليس
إلا..

ألا ترى أن شعلة من شعاع هذه الحقيقة
لمّا أضاءت في قلب عسكر الإسلام المتنور
بنور الإيمان، ترقى عسكرنا إلى درجة -أقرّ

كلّ النَّاسِ - بُرْجِحَانِ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ فِي
عَسْكَرِ الْإِسْلَامِ، مَعَ تَنْزَلِ دَوْلَتِنَا مِنْ مِائَاتِ
مِنْ سِنِينَ.. وَتِلْكَ الشَّهَادَةُ هِيَ الْحَسَّ الَّذِي
يَنْطِقُ بِلِسَانِ الْعَسْكَرِ: أَنْ فِي الْجِهَادِ حَيَاةً
وَسَعَادَةً. فَإِنْ مِتَّ فَالظَّفَرَ بِالشَّهَادَةِ، وَإِنْ
غَلِبْتَ فَالغَزَاةَ غَنِمْتِي!..

سؤال: إِنَّ الْمَدِينَةَ الْحَاضِرَةَ لَا تَسَاعِدُ وَلَا
تَفْتِي بِالْجِهَادِ الدِّينِيِّ، فَكَيْفَ التَّطْبِيقُ بَيْنَهُمَا؟!

جواب: لَمَّا جَعَلْتَ الْمَدِينَةَ لِلتَّدَافِعِ
الْوَسَائِطِ الْغَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ مَشْرُوعَةً، وَافْتَتِ
بِجَوَازِهَا، فَكَيْفَ لَا تَسَاعِدُ وَلَا تَشَوِّقُ
الْجِهَادَ الَّذِي هُوَ أَثْبَتُ الشَّرَائِعِ!.. فَمَا دَامَتْ
الرِّذِيلَةُ فِي الدُّنْيَا، لَا بَدَّ أَنْ تَجَاهِدَهَا الْفَضِيلَةُ
إِنَّ الْجِهَادَ أَبَدِيَّ!..

ثم إن موقعنا ومكاننا -الذي وسع علينا وما ضاق كغيرنا- موقع التدافع لا التّجاوز.. وإنّ أساس ديننا يشير إليه. لأنّ ﴿ لَا أَكْرَاهُ فِي الدِّينِ ﴾ و ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ يوقفنا في موقع التدافع... فإنّ كلمة ﴿ تَعَالَوْا ﴾ تشير إلى أنّ أوّل وظيفتنا "الدّعوة" إلى الاتّفاق، ثمّ ندافعهم بالجهاد.

ومما يدلّ على قوّة هذه الحقيقة، أعنى "الحمية الدّينيّة" وتأثيرها في المعاملات؛ ما حكى أنّه سافر أحد إلى قوم بدويين. فنزل عند رجل فاضل، فرأى أنّهم لا يهتمّون بحفظ أموالهم، حتّى رأى هم يلقون دراهمهم في زوايا البيت بلا تحفّظ... فقال المسافر لصاحب المنزل "ألا تخافون من السرقة مع عدم حرز أموالكم؟! "

فقال (ص) : لاتقع السرقة فينا.

فقال (م) : إننا نقفل على دراهمنا أقفالاً
مع أنها كثير ما تسرق منا.

فقال (ص) : إننا نقطع يد السارق كما
أمر الله تعالى.

فقال (م) : أظنّ أنّ كثيراً منكم محرومون
من إحدى يديهم؟

فقال (ص) : إني بلغت خمسين سنة وما
رأيت في عمري إلا قطع يد واحدة.

فقال (م) : فيا للعجب! عندنا يحبس في
كلّ يوم كثير ولا يؤثر معشار هذا التأثير؟

فقال (ص) : قد أهملتم أمراً عظيماً و

غفلتم عن سرّ عجيب.. وهو أنّ السارق
 منّا إذا أراد سرقة، ومدّ يده لأخذ مال الغير؛
 تخطّر بـ " حكم إجراء الحدّ " المربوط
 بالسلسلة العرشية، الأمر النوراني المحيط.
 واستمع نداء من بُعد من جانب قلبه، كأنه
 يسمع ويحسّ بإذن قلبه بخاصية الإيمان،
 صداء الكلام الأزليّ النازل من فوق العرش،
 و النَّاعِي عَلَى يَدِ السَّارِقِ بـ ﴿ وَالسَّارِقُ
 وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ فيهبج هذا
 الاعتقاد معنوياته؛ فتَهتَزُّ حَسِّيَّاتِهِ العلوِيَّة،
 فتتنادى قواه المعنويّة من أطراف الروح
 و أعماق الوجدان، متهاجمة على ميلان
 السرقة، فينقطع ويتقلّص ذلك الميلان..
 وما من ميلان يحافظ نفسه في مقابلة هذا
 الزّاجر العلوِيّ والرّادع الوجداني...

لأنّ الأفعال تصدر من تمايلات القلب،
وهي تنبعث من إحساسات الرّوح، الرّوح
يهتزّ بنور الإيمان..

حاصل الكلام: إنّ إجراء الحدّ للإمتثال،
يتأثّر بها الرّوح والعقل والوجدان بخلاف
صنعتكم.. فإن أحدكم إذا أراد السرقة،
فإنّما يتأثّر من جانب وهمه فقط. لأنّه
يتوهمّ عتاب النّاس-لو علموا به- وحبس
الحكومة-لو تبين عليه-، إنّما تنفعل قوّته
الواهمة إنفعالاً سطحياً..

الحاصل: إنّ العدالة إنّما تكون عدالة
محضة؛ إذا أجريت من حيث " إنّ الله أمر
بها". لأنّ هذه الحيثيّة أنفذ حكمًا و أتمّ
تأثيرًا وأعمّ فائدة!..

نعم بإختلاف الحيثيات تختلف الحقائق.
فكم من شيءٍ واجب بنسبة، و حرام بنسبة
أخرى.. وشيء واحد قد يكون بديهياً بعنوان،
و نظرياً بآخر، كما تقرّر في المنطق.

وقس على حدّ السرقة سائر الأحكام
الإلهية.. فأنتج من أوّل الجواب إلى هنا؛
إنّ الحميّة الناشئة من الحسّ الدّينيّ أسدّ
وأولى بالإعتماد و أصفى!..

سؤال: كما أن المدينة الحاضرة أعلنت
الحرب على الإستبداد، كذلك هيّجت حسّ
الخصومة على حملة الدّين.. وقد سرى من
الأجانب إلينا هذان الحسان؛ فكما يهجمون
على التّحكّم، ينظرون إلى الحسّ الدّينيّ نظر
غير المؤمن فما رأيك فيه؟

جواب : نعم قد سرى إلينا من الأجانِب
التّرياق مع السّمّ.. أمّا سبب إعلان
المظلومين الحرب على الإستبداد فظاهر...
وأما سبب إعلان الخصومة للحسّ
الدّينيّ في الأجانِب؛ فهو أنّ الدّين
العيسويّ، لاسيّما مذهب " الكاثوليك "
منه، قد أوقع في الأوروبا إختلالاتاً داخلية
عجيبة مدهشة. وقد صار ذلك المذهب
آلة السّياسة الدّاخلية في أزمنة متطاولة..
فإن شئت فانظر التّاريخ، كيف احمرّ بدم
المظلومين بسيف أمثال " نيرون " الظّالم!..
ثمّ استمع التّاريخ تسمع الأنين والعيويل
والتلّعين بتضييق " جمعية أنكيزيسيون "

التي أوقعت مظالم أدهشت العقول بمقدار
خمسمائة سنة..

وعندي، أنّ تلك الجمعية الوحشية
ما ماتت، بل تناسخت في صورة المدنية،
وتلففت بخدع المدنية و السياسة و
معاملات الأجانب مع غير العيسوية دليل
على ذلك..

ثمّ انظر إلى تاريخ فرنسا، كيف أوقعت
المخالفة بين مذهبهم إختلالات أدهشت
الفقراء، و إنقلابات مظلمة على المظلومين
بمقدار أربعمائة سنة. وفي كلّ ذلك، صارت
السياسة في يد الخواصّ بواسطة ذلك
المذهب، الذي لا ينطبق على العقل سبباً
لمحو الفقراء ونكبة العقلاء.. فأنتج من

أعماق قلوب أهل الفقر و الضّرورة، وكذا
 أهل الفلسفة حسّ الإنتقام من المستبدين..
 وكذا حسّ الخصومة لذلك المذهب الذي
 أوقعهم في حيص و بيص.. و مع ذلك ما
 هجموا على ذلك المذهب بترك الدّين، بل
 استندوا بالمذهب البروتستانتى. ومع هذا، أن
 مذهب الكاثوليك، هو المذهب الرّسمى
 الآن فى "باريس"، مع هجوم ألوف مع من
 فلاسفتهم عليه!..

فيا للعجب! كيف تقاس الإسلاميّة
 الّتى هى حياتنا معاشر الفقراء على ذلك
 المذهب، و بينهما ما بين الأرض و السّماء
 من مسافات طويلة وفروق كثيرة، قد
 فصّلت بعضها فى "الخطبة الشّاميّة". و من

الفرق البين: إنّ الإسلاميّة ما صارت سبباً
 للمخاصمة فيما بين العالم الإسلاميّ إلاّ
 في أقلّ قليل، بل بينهم وبين من يتجاوزون
 عليهم.. وما صارت واسطة لدسائس
 السّياسة بين أهل الإسلام إلاّ نادراً بخلاف
 مذهب الكاثوليك.. فلا حقّ لأحد من
 المظلومين في الاعتراض على هذا الحسّ
 الحقيقيّ فينا. فإنّ الإسلاميّة كهف الفقراء
 وملجأ المظلومين من عاديّات الدّهر!..
 والذي أنزل القرآن رحمة للعالمين؛ إنّ

" وجوب الزّكاة " و " حرمة الرّبا " يشهدان
 عن صميم قلبهما بأنّ الإسلاميّة حامية
 الفقراء و ملجأ المساكين!..

و الحال إنّ مذهب الكاثوليك كأنّ حصن
الظّالمين في مقابلة الفقراء والمساكين.
ونسبتها إلى هذا المذهب في مداخلة
دسائس السّياسة التي هيّجت من المظلومين
حسّ الانتقام، من الألف واحداً.. ومع هذه
الفروق البيّنة، والقياس بلا مناسبة إنّ سلكننا
كما سلكنوا؛ أوقعنا العالم الإسلاميّ في
الهرج والمرج ألف سنة. ثمّ نكون (لو كان
القياس صادقاً) على طرز فرنسا الآن.. مع
أنّ مدنيّتهم الحاضرة بكثرة مساويها ينبغي
أن لا يرغب في إشترائها بلا ثمن، فكيف بعد
صرف ألف سنة!..

سؤال: فإذا لم يكن لحسّ الخصومة
موضع قبول في العالم الإسلاميّ فما سبب
سرايته إلينا؟..

جواب: إنّ الكلام كما ينوّر الأفكار أو يظلمها بمقاصده التي تسمّى " المعاني الثانويّة " في فنّ البيان؛ كذلك الكلام قد ينزّه الحسيّات أو يدنّسها بطرز إفادته و صور أسلوبه التي تسمّى " المعاني الأوّل " وعلى هذا، أن آثار الأجنب المترجمة إلينا كما قد تنوّر أفكارنا بمقاصدها؛ فكثيراً ما تشوّش بل تضلّ حسيّاتنا بصور أساليبيها.. حتّى قد يلقي مؤرّخهم أو أديبهم عند المرور على بحث المقدّسات و عظماء الدّين بسكوته، أو عدم مبالاته، أو بطرز إفادته حسّ الاستخفاف و عدم الإحترام... ومن أعظم المصائب التي تداخلت إلينا من طرز أساليبيهم المشبوعة بحسيّاتهم

" الاستخفاف " بِحَمَلَةِ الدِّينِ و علماء
المدارس.. والحال إنّ هؤلاء العلماء
أحقّ هؤلاء النّاس كافة بالحرمة والمرحمة
والمحبّة. و إنّ القصور والخطأ ليس من
وجودهم، بل من عدم وجود المحقّقين
الكاملين لعدم مساعدة الزّمان.. إنّ العلماء
عمود الإسلاميّة!..

سمعت أنّ أحداً رأى في عمود بيته خللاً
و ضعفاً، فقلقله لقلعه من قبل أن يقيم
عماداً قوياً مقامه؛ فخرّب البيت على رأسه..

ورأيت أحداً يستدلّ على جلاله إمام عمر
(ر.ع.) : بأن قامته كمنارة في الجسامه..
فردّ عليه آخر دليله من قبل أن يستدلّ على
جلاله

عمر (ر.ع) بعظمة روحه.. فقال الأوّل:
 " فإذا عمر مثلنا " فتأمل!..

و شاهدت أحداً يهجم على متعصّب
 لتعصّبه، من قبل أن يستدلّ على قيمة صلابة
 الدّينيّة بأنّها هي " التّقوى والثّبات على الحقّ
 والتمتانة في الأخلاق " .. فأفسد على ذلك
 الفقير صلابته الدّينيّة..

من رفع العمود الضّعيف، قليتحفّظ على
 السّقف بقوى ثمّ... وإلاّ يخرب من حيث
 لا يعلم...

ومن أراد إبطال الدّليل الفاسد، فليثبت
 التّتيجة الحقّة بدليل صحيح ثمّ.. وإلاّ
 يفسد من حيث لايعقل...

ومن هجم على التّعصب، فليحترم
وليتحفّظ على الصّلاية الدّينيّة، ثمّ.. وإلّا
يضلّ من حيث لا يشعر...

سؤال: ما تقول في حادثة " اوتوز بير
مارت " التي يطنطن بها أهل الهوى..

جواب: الأولى؛ أن تقول في صاعقة " اون
بير نيسان ١٣٢٥ " وقد شرحتها في ديوان
الحرب في مدافعتي التي تسمّى
" إيكي مكتب مصيبتك شهادتنامه سي " (*)

ثمّ إنّى أقول بجميع قوتي: أخطاء الموافق
والمخالف بإلقاء خطيئاتهم على بعض

(*) فأسفًا الهيجان شوّشها والمطبعة حرفتها.
-المؤلف-

معصومين ساكتين متوكّلين!..

يا أيّها المغرورون الذين تبرّؤون أنفُسكم
 بحمل فسادكم على غيركم! مثلكم كمثلكم
 رجالٍ اقتتلوا وعثوا في الأرض فسادًا؛ ثمّ
 توسّط بينهم بعض أهل الصّلاح لدفع
 فسادهم، ودعوتهم إلى الصّلاح، ويذكرهم
 المتوسّط بأمر مقدّسة لإزالة دسائسهم
 المدهشة.. و قد وّفق الله ذلك المتوسّط
 على تنزيل فسادهم من المائة إلى الواحد
 ببركة تلك المقدّسات.. ثمّ هجم الفريقان
 المتخاصمان لتبرئة أنفُسهم، و مداهنة
 بعض لبعض هديّة الغرور و رشوة الأنانيّة
 من الطّرفين، وتعدّيًا بلا إنصاف على ذلك

المتوسّط المعصوم النّاصح، فحملوا
خطيئاتهم على من أراد سدّ طريق وبائهم..

نعم، قد كان من تلك الفرقة النّاصحة
من هجم أيضًا، بسبب أنه رأى وكشف بدقّة
نظره؛ إنّ في النّوّة التي صارت الآن شجرة
تثمر بالحنظلة مقدارًا من بذر شجرة زقوم،
فهجم ولكنّ الله جاهد!..



